عقيدة اليوم الآخر
في ضوء سورة (ق)

الدكتور
عبد الكريم هجيج طعمة

المدرس بكلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الجنة والنار، وجعل الآخـــرة دار القـــرار والصـــلاة والسلام على سيد الابرار وآله وصحبه الطيبين الاطهار وسلم تسليماً كثيراً .

إنَّ الايمان باليوم الآخر من قضايا العقيدة الاساسية التي جاء بها الإســـلام والتي يقوم عليها بناء العقيدة بعد وحدانية الله تعالى، فالحياة في التصور القـــرآني، ليست هي الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد أو عمر البشرية في هذه الدنيا، بـــل الحياة تمتد لتشمل الحياة الأخرى، التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى، والتي تعد فـــترة الدنيا بالقياس اليها ساعة من نهار، وبهذا المعنى جاء التعبـــير القـــرآني في قولـــه ﷻ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[1].

لذا فالذي يتدبر القرآن الكريم يجده حافلاً بذكر اليوم الآخـــر، واحـــوال الآخرة مهتماً بتقريره في مواضع عديدة منبهاً إليه في مناســـبات كثـــيرة، مؤكـــداً وقوعه بشتى إساليب العربية، والبلاغة القرآنية ومن بين الســـور الـــتي اهتمـــت بالتذكير بذلك اليوم هي سورة (ق) وقد وقع اختياري لها لتكون عنوانـــاً لبحثـــي والموسوم بـــ (عقيدة اليوم الآخر في ضوء سورة ق) والذي قادني للكتابـــة بهـــذا الموضوع هو ما نراه من غفلة الناس عن ذلك اليوم بســـبب تثاقلـــهم الى الارض، وحبهم لمتاع الدنيا، وطول الأمل مما يقلل الوازع الديني في تلك النفـــوس، وقلـــة الانضباط والالتزام بالمنهج القرآني.

مذكراً نفسي واياهم بذلك اليوم واحواله، ليكون دافعاً للمحاسبة ومدعاة للانضباط في الاقوال والاعمال، إذ أن الانسان كلما ازداد يقينه بـــالآخرة، كـــان اكثر انضباطاً وموازنة بين متطلبات الدنيا، وابتغاء الآخرة امتثـــالاً لقولـــه تعـــالى

---

(١) سورة الروم الآية ٥٥ .

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

أما منهجي في هذا البحث، فقد قسمته إلى مقدمة وسبعة مباحث .

تناولت في المبحث الاول- التعريف بسورة (ق) بشكل عام .

وتناولت في المبحث الثاني – أثر عقيدة اليوم الآخر على سلوك الفرد .

وتناولت في المبحث الثالث – انكار المشركين لليوم الآخر والرد عليهم .

وتناولت في المبحث الرابع – سكرات الموت .

وأما المبحث الخامس فقد جعلته – لسعة النار .

وتناولت في المبحث السادس مزيد أهل الجنة .

وخصصت المبحث السابع- للنفخ في الصور .

وأخيراً جاءت الخاتمة وبينت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث ثم ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذا البحث .

ختاماً، ارجو أن أكون قد وفقت، فما أصبت فيه من الحق فذلك فضل الله تعالى، وما أخطأت فهو من نفسي، واتضرع الى الله تعالى أن يغفر لي ويُسخِّرْ من يسد الخلل ويجبر النقص، فجل من لا يخطئ، ولا ينسى، وهو العليم الحكيم .

---

(١) سورة القصص الاية ٧٧ .

المبحث الاول
تعريف عام بسورة (ق)

تعد سورة ق من السور المكية وآياتها خمس واربعون آية، روي ذلك عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر[1].

وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا أية واحدة، وهي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[2] فهي مدنية نزلت بشأن اليهود[3].

ولما كانت هذه السورة مكية، فقد تميزت بأسلوبها وعرض قضاياها، كما امتازت بقصر آياتها ومعانيها المؤثرة، كما هو الشأن في الآيات المكية وكان الموضوع الاساس الذي عالجته، أصول العقيدة الإسلامية حيث تعرضت لثلاثة أهداف أساسية من خلاله. متمثلة بالوحدانية والرسالة واليوم الآخر، لكن المحور الرئيسي الذي تدور عليه هو موضوع اليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب، حتى ليكاد يكون هو الطابع الخاص للسورة الكريمة.

ابتدأت السورة الكريمة بحرف من حروف الهجاء (ق) شأن السور المكية، لكونهم أهل فصاحة وبلاغة، لإشعارهم من أول الآمر بالعجز أمام تحدي القرآن

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشي تقديم وتخريج مصطفى عبد القادر عطا ٢٤٩/١ دار الفكر – بيروت .

(٢) سورة ق الآية ٣٨ .

(٣) ينظر الاتقان في علوم القرآن للامام جلال الدين السيوطي تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ٤٥/١ المكتبة العصرية– بيروت .

لهم، والذي نظم من أمثال هذه الحروف الهجائية[1]. وقيل أن الحرف (ق) من التشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وهذا الأخير رجحه أهل العلم[2]، وهو الذي اميل الي وارجحه، نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل، لأننا لم نكلف تأويلها .

كما أقسم الله تعالى بالقرآن المجيد الذي أنزل على رسول الله ﷺ ليؤيده في رسالته، وحذف جوابه، ليوحى بذاته باليقظة والاهتمام، وأن الآمر جلل، فقال سبحانه ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[3].

قال ابن كثير: (وجواب القسم محذوف وهو مضمون الكلام بعده وهو إثبات النبوة، واثبات المعاد، وتقديره: إنك يا محمد لرسول الله وأن البعث لحق، وهذا كثير في القرآن)[4].

ثم أخذت السورة في تقرير أصل طالما أنكره الكفار، وتعجبوا منه، إلا وهو البعث بعد الموت وذلك في قوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[5] فعالج القرآن ذلك الآمر، وأيقظ تلك القلوب المنحرفة بأسلوب رائع، وذلك بلفت أنظارهم الى الكون المحسوس، بما فيه من آيات

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٢٢/١ .

(٢) ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٩٢/١ فما بعدها دار الحديث– القاهرة.

(٣) سورة ق: ١.

(٤) تفسير القرآن العظيم للامام عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير ٢٢٥/٤ مطبعة دار الخير – بيروت.

(٥) سورة ق الآية: ٣ .

ودلائل باهرات على توحيد الله تعالى وقدرته على إعادة الخلق مرة ثانية[١] وذلك في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٢].

واستعرضت السورة صوراً من مظاهر التكذيب بالآخرة من الأمم السابقة وما حل بهم من عذاب، ليتفكر بحالهم من جاء بعدهم ويعتبروا بتلك الدروس. وهذا واضح من قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾[٣].

وختمت السورة بالحديث عن صيحة الحق، وهي الصيحة التي يخرج الناس بها من القبور، يساقون للحساب والجزاء، حيث انتهت بالوعيد واثبات اليوم الآخر رداً وجواباً لما ابتدأت به السورة من انكار المشركين لذلك اليوم، حيث يقول ﷻ ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ*يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[٤].

ولأهمية هذه السورة كباقي سور القرآن، وردت احاديث بفضلها فقد أخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال: ((كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر في الركعة الاولى ق والقرآن المجيد))[٥].

---

(١) ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٧/ ٥٤٩، دار التراث العربي – بيروت .

(٢) سورة ق الآية ٦.

(٣) سورة ق الآية ١٢ والتي بعدها .

(٤) سورة ق ٤٤ و٤٥ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٦، ١٨١ –١٨٢ دار احياء التراث العربي– بيروت. الموطأ للأمام مالك ١/ ١٨٠، دار احياء الكتب العربية – بيروت .

وعن أبي واقد الليثي قال ((كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد بقاف واقتربت))[1].

وعن أم هشام ابنة حارثة قالت:

ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا من فيِّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس[2].

وكل ذلك يدل على أنها من أعظم السور في القرآن[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨١/٦ ، السند للأمام أحمد ٥/ ٩١، دار صادر – بيروت.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٠/٦ .

(٣) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ١٧٠/٢١، مطبعة احياء التراث العربي– بيروت .

المبحث الثاني

أثر عقيدة اليوم الآخر على سلوك الفرد

اقتضت حكمة الخالق العظيم أن يكون وراء هذه الحياة، حياة أخرى ليتم فيها الجزاء الأمثل ليعلم الإنسان أن الله تعالى لم يخلق هذا الكون عبثاً. ولأهمية ذلك اليوم فقد ذكره القرآن الكريم بنحو ست وعشرين مرة، وجاء ذكر الآخرة بنحو أربع عشرة ومائة مرة واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه اليه في كل مناسبة، ليكون أحد اركان الايمان الاساسية، والذي يجب الايمان به، ومن جحده عد كافراً[1].

وفي ذلك دعوة للايمان باليوم الآخر، والتفكر في أحواله، فإذا ما حصل ذلك تبين أثره في حياة الانسان، وذلك أن الايمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب له أشد الأثر في توجيه الانسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله في السر والعلانية .

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم في سورة (ق) وغيرها من السور لتكون دافعاً للانسان في عمل الخير وانضباط سلوكه في هذه الدنيا.

إذ يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ*إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ*مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

---

(١) ينظر أصول الدين الإسلامي للبغدادي ص ٣٥٨ مطبعة الدولة استانبول، كتاب المواقف للايجي بشرح الجرجاني ٨/ ٢٩٥، مطبعة السعادة – مصر ط١، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٣٨٨، مطبعة ابن الهيثم – القاهرة .

(٢) سورة ق الآيات ١٦ – ١٨ .

ومعنى هذه الآيات، أن الله خلق جنس الانسان ويعلم ما يجـــول في قلبـــه وخاطره، لا يخفى عليه شيء، وهو اقرب إليه من حبل الوريد، وهو عرق كبـــير في العنق متصل بالقلب.

قال أبو حيان: ونحن أقرب إليه قرب علم، نعلم به وبأحواله لا يخفى علينـــا شيء من خفيانه، فكأن ذاته تعالى قريبة منه، وهو تمثيل لفرط القرب لقول العـــوب: هو مني مقعد الازار[1].

وقال ابن كثير: المراد ملائكتنا أقرب إلى الإنسان من حبل وريـــده إليـــه، والحلول والاتحاد منفيان بالاجماع، ويدل عليه قوله بعـــده ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2] أي: حين يتلقى الملكان الموكلان بالانسان، ملك عـــن يمينه يكتب الحسنات، وملك عن شماله يكتب السيئات[3].

وقال الآلوسي، والمراد أنه سبحانه أعلم بحال الإنسان من كل رقيب، حـــين يتلقى المتلقيان الحفيظان ما يتلفظ به، وفيه إذان بأنه ﷻ غني عن استحفاظ الملكـــين، لعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد، إذا علم العبد ذلك مع علمه بإحاطة الله تعالى بعلمه، ازداد رغبة في الحسنات، وانتهاء عن السيئات[4]. فحين يتصور الانســـان هذه الحقيقة لا بد أن يرتعش ويحاسب، ولو استحضر القلب مدلول هذه العبـــارة وحدها ماجرؤ عن كلمة تسخط الله تعالى فهذه الآية وحدها كافية ليعيش الإنســـان في حذر دائم وخشية لا تغفل عن المحاسبة، لان كل كلمة وحركة، تســـجل عليـــه

---

(١) ينظر تفسير البحر المحيط لابن حيان ١٢٣/٨ ، دار الفكر – بيروت .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٧٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٧٢.

(٤) ينظر روح المعاني ٢٦/ ١٧٩ .

خيراً كانت أو شراً[١] يحصيانها الملكان الموكلان كما أخبر ﷻ ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢]، قال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم وهي الأيادي والارجل والجسد[٣] وعن مجاهد السائق والشهيد ملكان، ملك يسوقه وملك يشهد عليه[٤] فأن الإنسان لم يخلق عبثاً، يقول الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[٥]،

ويقول سبحانه ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٦]

حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يتساوى المسيء مع المحسن، فالمحسن والمسيء يحاسب، ليكون ذلك دافعاً للمراقبة والانضباط[٧] وفي الحديث الشريف عن بلال ابن الحارث ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن ما بلغت، يكتب الله عز وجل بها رضوانه الى يوم القيامة، وأن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم القيامة))[٨].

---

(١) ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٧/ ٥٥٦ – ٥٥٧ .

(٢) سورة ق الآية ٢١.

(٣) ينظر جامع البيان للطبري ٢٦/ ١٠١، دار المعرفة – بيروت .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ٩، دار الكتب العلمية- بيروت .

(٥) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

(٦) سورة القلم الآيتان ٣٥ – ٣٦ .

(٧) ينظر العقيدة الإسلامية لابن حبنكة: ص٦٢، دار العلم – دمشق .

(٨) جامع الترمذي مع شرح تحفة الاموذي ٤/ ٢٢٣، وقال عنه: حديث حسن صحيح، دار الكتاب العربي- بيروت.

وهناك آيات وأحاديث عديدة بهذا الخصوص لا مجال لحصرهـــا في هـــذا البحث، لكنها على العموم تشير بأن الايمان باليوم الآخر له أثر عظيم على ســـلوك الانسان، وانضباطه، وشتان ما بين من يعتقد بالبعث والحساب، وبين من لا يعتقـــد فهذا الأخير، لا يعتقد، غير مصلحته الشخصية، فتراه منفلتا من أي ضابط، والغايـة عنده أنانية تبرر أي وسيلة وأي خلق وأي عمل، مهما كان ضرره، والأول منضبط في حدود الحق والخير والصلاح.

المبحث الثالث

إنكار المشركين لليوم الآخر

أثار المنكرون لليوم الآخر بعض الشبهات والشكوك حول وجود ذلك اليوم كاستبعادهم العودة إلى الحياة بعد تحولهم إلى رفات وعظام وتراب، كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ*أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[1].

وليس لهؤلاء من حجة إلا الاستبعاد المجرد، وإظهار التعجب والاستغراب، وليس هذا من الحجج في شيء[2].

وجاء الخلف من بعدهم بحجج عقلية أوهن من حجج السابقين فقالوا: (لو أكل إنسان انساناً آخر بحيث صار الثاني جزءاً من الأول، فأجزاء الثاني، أما أن تعاد فيهما فهو محال، لاستحالة الجزءالواحد في آن واحد معاداً في شخصين متباينين، وإما ان يعاد في أحدهما فيكون الآخر غير معاد بجميع اجزائه)[3].

فالآية إنكار وتعجب ما ليس بعجب، فأنهم قد عرفوا صدق رسول الله ﷺ وأمانته ونصحه، فكان الواجب أن يسارعوا إلى الايمان، لا أن يعجبوا ويستهزئوا[4].

---

(١) سورة ق الآيتان ٢ – ٣.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٢٦/ ٩٤ .

(٣) شرح النسفية للتفتازاني ص ١٨٧ .

(٤) ينظر أرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم لابي السعود ٥/٩٣.

لذا روى ابن عباس ﷺ قال: (جاء العاص بن وائل الى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتّه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هـذا، ثم يميتك ثم يحيك ثم يدخلك نار جهنم)[1].

هكذا تبين لنا كيف عجب المشركون من الرسالة ومن أمر البعث الذي حدثهم عنه صاحب الرسالة ﷺ، وكيف كانت نظرتهم الساذجة، حيث كانت بعيدة كل البعد عن إدراك حقيقة الحياة والموت، فضلاً عن ادراك أي طرف من حقيقة قدرة الله تعالى.

وقد بين الله تعالى مدى تخطبهم، وحقيقة انكارهم واعتراضاتهم الواهية فقال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ*بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[2].

ووجه الاستدلال في الآية قوله تعالى ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾.

أي: هم في أمر مختلط عليهم وملتبس، لا يعرفون الحق من الباطل وذلك هو الخسران المبين، حيث يتضح من خلال تعبيرهم مدى اضطرابهم واختلافهم من أمر الرسول ﷺ وأمر البعث، فتارة يكذبون الرسول ﷺ وتارة يقولون أنه شاعر، وتارة ينكرون البعث وأخرى يشككون فيه وهكذا[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم ٢/ ٤٢٩، وصححه وسكت عنه الذهبي. وينظر اسباب النزول للواحدي: ص ٢٠٣، دار الفكر بيروت.

(٢) سورة ق ٤و٥.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٦/ ٩٤، السراج المنير للخطيب الشربيني ٤/ ٦٥ .

قال الفخر الرازي (فاطلاق لفظ المريج على ظنهم ينبئ عن عدم كون ذلك الجزم صحيحاً لأن الجزم الصحيح لا يغير، وكان ذلك منهم واجب التغيير فكان أمرهم مضطرباً بخلاف المؤمن الموافق، فأنه لا يقع في اعتقاده تردد)[1].

الرد على منكري اليوم الآخر

وقد رد الله سبحانه على الشبه التي آثارها المشركون قديماً ويثيروه في كل عصر، في شأن المعاد، وبين لهم في هذه السورة وغيرها: أن الإيمان بالمعاد لا ينكره العقل بل يؤيده ولا يخالف المعهود، بل له امثلة في حياة الناس وشواهد من صنع الخالق.

حيث وجه القرآن الكريم نظر المنكرين الى خلق السماوات والارض وكيفية احياء الارض الميتة بالنبات، وتشبيهه بالبعث ثم توجيه نظرهم الى الاعتبار بالأمم السابقة التي كفرت باليوم الآخر، فأهلكها الله تعالى، وفي ذلك استعمال لدلائل الفكر، ووسائل الاعتبار في الكون المنظور، المتضمن اسلوب التربية بالترهيب.

ونلاحظ هذا التوجيه الرائع في عرض متتابع يوقظ الفكر، في آيات كريمات من سورة (ق) إذ يقول ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ*وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ*تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ*وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ*وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ*رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[2].

---

(١) التفسير الكبير للإمام فخري الدين الرازي ٢٨/ ١٥٤، دار الكتب العلمية- طهران.

(٢) سورة ق الايات ٥ – ١١ .

فهذه الآيات تكشف لنا طريقة القرآن الكريم في محاجة منكري اليوم الآخر والتي تتجلى بلفت النظر إلى دلائل قدرته على ابتداء الخلق واعادته من خلال الامور الآتية:

أولاً: التنبيه إلى مظاهر قدرته تعالى في السماوات والارض.

ثانياً: قدرته تعالى على الاثبات وإحياء الارض.

ونستطيع الآن استعراض هذه الآيات بما فيها من حجج وبراهين دامغة لهؤلاء المنكرين ابتداءاً بالتفكير بالسماء وعظمة خالقها.

أولاً: في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[1]. الاستفهام للتقريع والتوبيخ: أي كيف غفلوا عن النظر والتفكير، الى السماء في ارتفاعها وإحكامها، من غير عماد تعتمد عليه، والتفكر بتلك المصابيح والنجوم من غير شقوق وصدوع، سليمة من كل خلل وعيب أفلم ينظروا الى تلك القدرة والعظمة نظرة تفكر واعتبار، ليعلموا أن القادر على ايجادها قادر على اعادة الانسان بعد موته[2].

يقول سيد قطب (رحمه الله) عند تفسيره للآية: ((أن هذه السماء صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فارقوه. أفلم ينظروا الى ما فيها من تشامخ وثبات واستقرار، والى ما فيها من زينة وبراءة من الخلل والاضطراب))[3].

---

(١) سورة ق الآية ٦ .

(٢) ينظر ارشاد العقل السليم لابي السعود ٥/ ٩٤، وتفسير فتح القدير للشوكاني ٥/٧٢، دار احياء التراث العربي- بيروت .

(٣) في ظلال القرآن ٧/٥٥٢ .

ويقول الزمخشري: ((وكونها آية كذلك أنها بنيت بأحكام واتقان وليس لها فروج وليس فيها شقوق ولا عيوب، أي سلامتها كل نقص وخلل))[1].

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[2]. أي من خروج وصدوع وشقوق وفتوق[3].

وهذه العظمة فهم سرها علماء الفلك وذلك بعد اختراعهم المناظر التي كشفت لهم من عجائب الكون الشيء الكثير .

واذكر هنا على سبيل الاستدلال ما قاله أحد العلماء. وهو الدكتور سيسيل هامان من الولايات المتحدة الامريكية بهذا الخصوص: ((فإذا رفعنا أعيننا نحو السماء فلا بد أن يستولي علينا العجب من كثرة ما نشاهده فيها من النجوم والكواكب السابحة فيها، والتي تتبع نظاماً دقيقاً لا تحيد عنه قيد أنملة.. فهل يظن أحد بعد ذلك أن هذه الكواكب والنجوم قد لا تكون أكثر من تجمعات هوائية من المادة تتخبط على غير هدى في الفضاء، وإذا لم تكن لها نظام ثابت، فهل كان من الممكن أن يثق الانسان بها ويهتدي بهديها في خضم البحار الواسعة في متاهات الطرق الجوية، قد لا يسلم بعض الناس بوجود الله سبحانه وبقدرته ومع ذلك فأنهم يسلمون بأن هذه الاجرام السماوية تخضع لقوانين خاصة، وأنها ليست حرة تتخبط في السماء كيف تشاء.. فبعد هذه الحقائق لا يسع الانسان إلا أن يمجد خالق ذلك النظام الرائع، وموجد تلك الدقة البالغة))[4].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ٣٠٣ مطبعة محمد البابي –مصر.

(٢) سورة الملك جزء من الآية ٤ .

(٣) ينظر التفسير الكبير للرازي ٣٠/ ٥٨ .

(٤) كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٩ . ط١ .

عجباً لهؤلاء الناس، إن مقارنة بسيطة بين الانسان وبين السماء ناهيك عن اسرار خلقه لهما، يتبين لنا سهولة الاعادة عند المولى تعالى.

ثانيا: عظمة الله تعالى في الأرض: قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1].

هذه الآية توجيه وتذكير لمنكري البعث وإيقاظ لهم عن سنة الغفلة عن هذا الكون، بما فيه الأرض، كيف بسطها الله تعالى، وجعل فيها جبال ثوابت تمنع الأرض من اضطراب سكانها، وانبت فيها كل نوع من النباتات حسن المنظر، يبهج ويسر الناظر إليه، وهذا كله تبصيراً وتذكيراً للعباد على كمال قدرته تعالى[2]. تبصرة تكشف الحجب، وتنير البصيرة وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب، وما وراءه من إيداع وحكمة وترتيب[3] كل ذلك دلالة على قدرة الله تعالى على الاعادة والبعث لذلك الانسان الضعيف.

وإنما خص القرآن ذكر النخيل دون بقية النباتات، لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها، ولبيان فضلها على سائر الاشجار لذلك شبه الرسول ﷺ السلم بها[4].

---

(١) سورة ق الآية ٧ .

(٢) ينظر تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ٤/ ٦٦، المطبعة الخيرية- مصر، البحر المحيط لأبي حيان ١٢٢/٨ .

(٣) ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٧/ ٥٥٢ .

(٤) ينظر أنوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي ٢/ ٣٢٨ دار الجيل- بيروت، وتفسير أبي السعود ٩٤/٥ .

وهي دعوة للتفكر في عجيب خلق هذه الشجرة، بأن الذي خلقها وأوجد الحياة فيها، قادر على إعادة الإنسان بعد مماته. لذا جاء نهاية الآية ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1].

بل أن أمر البعث أهون من الاثبات، ولعل التعبير عن إخراج النباتات من الأرض بالاحياء، وعن إحياء الموتى بالخروج، يوحي بذلك، ثم لتحقيق المماثلة بين إخراج النباتات وإحياء الموتى لتوضيح مناهج القياس وتقريبه لإفهام الناس[2].

ثالثاً: قدرته تعالى على إنزال الماء: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ*وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ*رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[3].

لما ذكر الله تعالى السماء والأرض ذكر بينهما ما يشبه عقد النكاح بإنزال الماء من السماء في الأرض وأخرج من بطنها اشباه النسل الحاصل من الحيوان من أنواع الثمرات رزقاً لبني أدم ليتفكروا أن شيئاً من هذه الأشياء لا يقدر على تكوينها إلا من كان مخالفاً لها في الذات والصفات والأفعال وذلك هو الصانع الحكيم[4]، فالذي أحيا الارض الميتة فانبت فيها الكلأ والعشب، كذلك يخرج الناس أحياء بعد موتهم[5].

---

(١) سورة ق جزء من الآية ١١ .

(٢) ينظر تفسير المراغي ٢٦/١٥٥ – ١٥٦، وتفسير روح المعاني للآلوسي ٢٦/ ١٧٦ – ١٧٧ .

(٣) سورة ق الآيات ٩ –١٠ –١١ .

(٤) ينظر تفسير السراج المنير للشربيني ٤/٦٦ .

(٥) ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٨/١٢٢ .

قال ابن كثير: هذه الأرض الميتة هامدة، فلما نزل عليها الماء أهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات فيها، فاصبحت تهتز خضراء، لهذا مثال للبعث بعد الموت، فكما احياء الله الأرض الميتة كذلك يحي الله الموتى[1].

رابعاً: قياس الاعادة على البدء: قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

لقد توهم الكفار أن القدرة التي أوجدت الخلق لا تقدر على إعادته مرة ثانية، وذلك بناء على توهم أن إعادة الخلق بعد فنائه اصعب من ابتدائه .

وقد رد الله تعالى شبهتهم هذه، وأخبر بأن الذي قدر على ابتدائهم وإبداعهم يقدر على إعادتهم، فالآمران متساويان، بل الاعادة أهون في نظر الناس من الابتكار والابداع، فكيف يسلمون بالبدء ثم ينكرون على قدرته تعالى أمر إعادتهم وبعثهم، وقد أخبر الله تعالى بذلك وهو أهون عليه[3].

قال القرطبي: أفعجزنا عن ابتداء الخلق حتى تعجز عن اعادتهم بعد الموت، فهذا توبيخ لمنكري البعث وجواب لقولهم ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[4]، ومراده أ ابتداء

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٢/٤، روح المعاني للآلوسي ٤/٢٠ .

(٢) سورة ق الآية ١٥.

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ٥/ ٩٥ .

(٤) سورة ق جزء من الآية ٣ .

الخلق لم يعجزنا، والاعادة أسهل منه فكيف يتوهم عجزنا عن البعث والاعادة[1].

ويحتمل أن يراد بالخلق الأول، خلق السموات والارض، لأنه هو الخلق الأول، وكأنه تعالى قال ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[2] ثم قال ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ ويدل على هذا قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾[3]، ويؤيد هذا الوجه أنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾[4] فهو كالاستدلال بخلق الانسان وهو معطوف على ما تقدم من الخلق وهو بناء السماء والارض وانباتها[5].

فهذه الآية رد على من ادعى أن خلق السماوات والارض بما فيهما من مخلوقات اصابت الخالق بالإعياء، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فأنه تعالى إذا أراد أن يخلق شيئاً قال له كن، فيكون، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6] ومن كان أمر خلقه كذلك فلا يمكن أن يصيبه الاعياء في القدرة أبداً.

---

(١) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٨/١٧، شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٦٠ – ٤٦١ .

(٢) سورة ق الآية ٦ .

(٣) سورة الاحقاف الآية ٣٣ .

(٤) سورة ق الآية ١٦ .

(٥) ينظر روح المعاني للآلوسي ٢٦/ ١٧٧ .

(٦) سورة يس الآية ٨٢ .

والله تعالى يقول ((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه))[1] وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى (ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته)[2].

فإذا كان الله تعالى لم يعي بخلق السماوات والارض، ولا يزال يخلق ويرزق ويحي ويميت، فهل يستبعد بعد هذا المشاهد المنظور أن يعيد الخلق مرة أخرى!!

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٢) صحيح البخاري رقم الحديث ٤٩٧٤ .

المبحث الرابع
سكرات الموت

لما ذكر الله تعالى استبعاد المشركين للبعث والحساب في مقدمة سورة (ق)، واحتج عليهم بقدرته وعلمه في الإعادة والجزاء، وبين أن جميع الأعمال محفوظة ومكتوبة عليهم بقوله تعالى

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، أتبع ذلك بيان ما يترل بهم من الموت، لا محالة، فإذا جاء أتت سكراته وهذا ما صرحت به الآية الكريمة في قوله ﷻ ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2].

فالمراد بسكرة الموت: أي شدته وغمرته التي تغشي الإنسان وتغلب على عقله .

ومعنى بالحق: أنه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الأخبار بالبعث والوعد والوعيد.

وقيل: الحق هو الموت[3] الذي يفر منه الكافر ويحيد ويميل عنه، هروباً وفراراً[4].

---

(١) سورة ق الآية ١٨ .

(٢) سورة ق الآية ١٩ .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٢٤، السراج المنير للخطيب الشربيني ٦٩/٤، وتفسير الكشاف للزمخشري ٣٠٦/٤ .

(٤) ينظر تفسير فتح القدير للشوكاني ٧٥/٥ – ٧٦، دار إحياء التراث– بيروت .

وقد عبر القرآن عن وقوع السكرة بصيغة الماضي ايذاناً بتحقيقها وغاية اقترابها[1] فقال ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[2].

ذلك هو الموت وما فيه من سكرات الذي كنت أيها الكافر منه تهرب وتبتعد قد حل بساحتك فلا فكاك ولا خلاص، والتعبير ﴿بالحق﴾ يوحي بأن النفس البشرية ترى الحق عياناً وهي في سكرات الموت، تراه واقعيا وتدرك منه ما كانت تجحده وتنكره في الدنيا[3].

يقول سيد قطب ((والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه أو يبعد شبحه عن خاطره، ولكن أنى له ذلك: والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد، وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال وأنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني (السكرات)[4].

وقد ثبت في الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول ((... لا إله إلا الله إن للموت سكرات))[5]، يقولها ﷺ وقد اختار الرفيق الأعلى واشتاق للقاء الله تعالى، فكيف بمن عداه؟ من الظالمين والكافرين، والله تعالى يقول بحقهم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ

---

(١) سورة ق الآية ١٩ .

(٢) ينظر روح المعاني للآلوسي ١٨٢/٢٦، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان ١٠١/١ .

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ٦٦/٤، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٣/١٧ .

(٤) في ظلال القرآن ٧/ ٥٥٨.

(٥) صحيح البخاري ٦/ ٣٥ عالم الكتب – بيروت.

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

فقد روي عن ابن عباس ﷺ في هذه الآية أنه قال: هذا عند الموت، والبسط والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم .

وقال ابن حجر (رحمه الله): ويشهد له قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[2].

ثم قال: (وهذا وان كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يو القيامة، وإنما اضيف العذاب على القبر لكون معظمه يقع فيه)[3].

يقول الامام الغزالي (رحمه الله): (إعلمْ أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده.... وأعلم ان شدة الالم في السكرات لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها، فإنما يعرفها، أما بالقياس إلى الالام التي ادركها، وأما بالاستدلال بأحوال الناس في التزاع على شدة ما هم فيه)[4].

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣ .

(٢) سورة محمد الآية ٢٧ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٨٠/٣ .

(٤) احياء علوم الدين ٤/ ٣٩٣ عالم الكتب – بيروت .

هذا بشأن الكافر وأحواله أما المؤمنون فعند سكرات الموت يستبشرون ويفرحون لما يرون من مقدمات الخير الذي ينتظرهم، والله تعالى يقول ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

فقد قيل: أن نفس المؤمن تنشط في الخروج للقاء الله تعالى، ويترفق باخراج روحه، ويؤيد ذلك ما رواه البراء ابن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاخِرَةِ﴾[2].

قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمدﷺ فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاخِرَةِ﴾[3].

تبين لنا مما تقدم أن الموت واقع لا محال، ويسبقه سكراته، ومهما أراد الانسان الفرار منه واقامة الحواجز دونه فإنه ليس بقادر على ذلك، ولو وصل في العلم والطب إلى أعلى الدرجات، فأن كان مؤمناً ثبته الله، وادخل السرور والبهجة في قلبه منذ اللحظة الاولى للسكرات، وأن كان غير ذلك والعياذ بالله أصابه الهول وسوء العذاب.

---

(١) سورة النحل الآية ٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٧.

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٣/ ١٨١، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ٢٠٤، واللفظ لمسلم.

المبحث الخامس

سعة النار

إن الباحث في أمر النار وما جاء فيها من آيات وأحاديث، لا يستطيع أن يحيط بها وصفاً، لكثرة ما جاء فيها، فحسبنا هنا أن نتناول جانباً مما ورد في شأنها ووصفها، بحكم تقيدنا بدراسة هذه السورة، وسعة النار.

فالنار التي جعلها الله للكافرين، واسعة، بعيد قعرها، مترامية أطرافها وهذه الحقيقة، وهذا الجانب المخيف أخبرت به سورة ق، في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[1].

جاء في معنى الآية، أي اذكر ذلك اليوم أو أنذرهم ذلك اليوم الرهيب، يوم يقول الله تعالى لجهنم هل امتلأت، وتقول: هل من زيادة؟[2]

وللعلماء في الاستفهام الوارد في الآية قولان:

الاول: أن المراد بالاستفهام هو التحقيق، أي طلبها للاستزادة، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض ولا يمنع ذلك عقل ولا شرع، فيكون المعنى: هل من زيادة[3].

الثاني: أن الاستفهام إنكاري، فيكون المعنى: أن جهنم مع اتساعها وتباعد

---

(١) سورة ق الآية ٣٠ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٧ .

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ٥/ ٩٨ .

اقطارها تطلب أن يزداد في سعتها لتضايقها باهلها[1].

وأولى القولين، هو الاول، وأن الاستفهام على طريقة التحقيق، وهو اختيار كثير من المفسرين، فيكون المعنى: أنها تطلب الزيادة فتقول: هل من شيء ازداده على الرغم من كثرة ما فيها، والذي يؤيد هذا المعنى ما جاء في الحديث الشريف الذي يرويه أنس بن مالك ﷺ .

قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط، قط وعزتك وكرمك- أي قد اكتفيت - ويتروي بعضها الى بعض)[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين .وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي.وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من اشاء من عبادي، ولكل واحد منكم ملؤها فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها الى بعض)[3].

---

(١) ينظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٧، حاشية الصاوي ٤/ ١٠٢، دار الجيل- بيروت .

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٥ عالم الكتب- بيروت، كتاب التفسير، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٨٣ واللفظ لمسلم

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٦ كتاب التفسير ٦/ ٢٤٦، ومما هو جدير بالاشارة. أن هذا الحديث وغيره من أحاديث الصفات، للعلماء مذهبان، الاول: (مذهب السلف): التفويض فيها، وذلك أنهم يثبتون الصفات من غير تأويل، والمذهب الثاني: (الخلف) في جمهور المتكلمين: التأويل بما يسعفهم من مجاز ولغة، والاولى اتباع طريقة السلف في هذا الامر فهي

ومما يؤيد سعتها ايضاً قوله ﷺ : (ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرهن)[1].

وجاء في الحديث كثرة الملائكة على جهنم كدلالة على سعتها، وبهذا الوصف قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بجنهم يومئذ لها سبعون الف زمام، مع كل زمام سبعون الف ملك)[2].

فهذه هي صفة النار، وهذه سعتها، فالداخلون فيها اعداد لا تحصى، ولك أن تتخيل هذا المخلوق الرهيب الذي يستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة، ليحتاج الى ذلك العدد من الملائكة الاشداء الأقوياء، الذين لا يعلم مدى قوتهم وغلظتهم إلا الله تعالى.

الاسلم من غير جنوح للتأويل، وفي الوقت نفسه احترام وجهة الخلف فحسبهم أنهم اجتهدوا .

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٦/ ٢٥٦ .

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٤ .

المبحث السادس
مزيد أهل الجنة

بعد أن ذكر الله حال الاشقياء وما لهم في الآخرة، عرض مشهد المؤمنين المتقين في الجنة، فقال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ*هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ*مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ*ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ*لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

هذا التكريم للمتقين يكمن في كل كلمة وفي كل حركة، فالجنة تقرب وتزلف، فلا يكلفون مشقة المسير اليها، بل هي التي تجيء ﴿غير بعيد﴾، ونعيم الرضا يتلقاهم مع الجنة ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ فيوصفون بهذه الصفات من الملأ الأعلى، ويعلمون أنهم في ميزان الله أوابون، حفيظون لآمر الله تعالى يخشونه ولم يشاهدوه، منيبون الى ربهم طائعون، ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام لغير انتهاء ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾. ولهم فيما ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم من فنون النعيم وأنواع الخير[2]، ما لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ قال: (قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤا ان شئتم ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة ق الآيات ٣١ – ٣٥ .

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٦/ ١٠٨ –١١٠، في ظلال القرآن لسيد قطب ٧/ ٥٦١.

(٣) سورة السجدة الآية ١٧، والحديث رواه مسلم – في صحيحه ١٧/ ١٦٥ .

وزيادة على ذلك الانعام والاكرام بشارة أعظم وسعادة لا مثيل لها، وهي لذة النظر الى وجه الله الكريم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

فسرت الزيادة بنظر المتقين لربهم جل وعلا في جنات النعيم، ليزداد المؤمنون بهذه البشرى فرحا الى فرحهم[2].

هكذا يتبين أن المراد بالزيادة، هي رؤية الله تعالى يوم القيامة، وهذا ما صرحت به هذه الآية وغيرها من الآيات، وأخبرت بها الأحاديث النبوية، واجمع على ثبوتها جمهور علماء المسلمين خلفاً وسلفاً. قالوا بثبوت الرؤية من غير كيف أو إحاطة ولم يخالفهم في هذه المسألة إلا بعض الفرق كالجهمية والمعتزلة والخوارج، ومن شاكلهم، ممن لا حجة لهم ولا دليل سوى مقاييس عقلية باطلة، وتأويلات لفظية جائرة[3].

وأرى من المناسب التعريج ولو باختصار على بعض الادلة التي تثبت رؤية الله تعالى في الآخرة فضلاً عما ورد في سورة (ق). وعلى النحو الآتي:

قال الطبري عند تفسيره لقوله تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[4]،

---

(١) سورة ق الآية ٣٥ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٢٨ – ٢٢٩، روح المعاني للآلوسي ٢٦/ ١٩٠ .

(٣) ينظر شرح العقيدة الطحاوي لمحمد بن أبي العز الحنفي ص ٢٠٣، المكتب الإسلامي بيروت، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٣٨٦ ، دار ابن الهيثم – القاهرة .

(٤) سورة ق الآية ٣٥ .

هو النظر الى وجه الله عز وجل[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (فليسوا الى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا نظراً الى وجهه الكريم)[٢].

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[٣] فالمراد بالزيادة هو النظر إلى وجه الله الكريم، كما ثبت في الحديث الصحيح عن صهيب الرومي ﷺ ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فقال: (إذا دخل اهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا اهل الجنة، أن لكم موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ الم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون اليه، فما اعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه، وهي الزيادة)[٤].

ومن الأدلة بهذا الخصوص أيضاً قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٥].

فقد سئل الامام مالك بن أنس (رحمه الله) عن هذه الآية، فقيل له: أن قوما يقولون: ناظرة الى ثوابه .

فقال: كذبوا، فأين هم من قوله تعالى ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ

---

(١) جامع البيان ٢٦/ ١٠٨، وبالمعنى نفسه روح المعاني للآلوسي ٢٦/ ١٩٠ .

(٢) جامع البيان ٢٦/ ١٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٢٨ .

(٣) سورة يونس الآية ٢٦ .

(٤) صحيح مسلم جامع الاصول ١٠/ ٥٦٠ .

(٥) سورة القيامة الآية ٢٢ و٢٣ .

يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1].

ثم قال: الناس ينظرون الى الله يوم القيامة باعينهم، لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعبر الله تعالى عن الكفار بالحجاب[2].

وقال الامام الشافعي (رحمه الله): (لما أن حجب عن هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياؤه يرونه في الرضا)[3].

فالرؤية حق لاهل الجنة بغير إحاطة وكيفية، كما نطق به القرآن، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا[4].

ومما ورد في السنة أحاديث، منها:

قوله ﷺ :(أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)[5].

مما تقدم يمكننا القول: بأن المؤمنين يوم القيامة بما هم فيه من النعيم، يكرمون بلذة المزيد، وهي لذة النظر لوجه الله الكريم من غير كيف ولا احاطة، بقدرة يشاؤها الله تعالى، وهو اعلم بها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[6].

---

(١) سورة المطففين الاية ١٥ .

(٢) شرح السنة على مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٣/١٠٠ رقم الحديث ٥٦٦٣ طبعة المكتب الإسلامي – دمشق ط١– ١٩٦١.

(٣) شرح العقيد الطحاوي: ص ٢٠٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوي: ص ٢٠٣ .

(٥) صحيح البخاري ١١/ ٣٦٧، صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٧ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

المبحث السابع
النفخ في الصور

أخبر القرآن الكريم بأنه ستحدث نفختان في الصور على المعتمد أعلانا بأنتهاء الدنيا وايذانا للعرض والحساب، وقبل الشروع في التفاصيل، أرى من المناسب التعريج على معنى الصور اللغوي والاصطلاحي.

فالصور لغة: هو البوق[1].

وفي الاصطلاح الشرعي: مخلوق أعده الله تعالى بحسب سننه الكونية ليحدث فيه هاتان النفختان، فيروى أن إعرابياً جاء الى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ قال (قرن ينفخ فيه)[2].

وجاء تسمية الصور في القرآن (بالناقور) أيضاً، اشتقاقاً من النقر بمعنى التصويت، لأن الناقور يحدث صوتاً هائلاً[3].

وقد ورد أن الملك الموكل بنفخ الصور هو إسرافيل عليه السلام[4].

وتفصيل النفختان كما يأتي:

أولاً: النفخة الاولى: وهي نفخة الامانة العامة، ينفخها اسرافيل بأمر به تعالى فيصعق كل من في السماوات والأرض إلا من يشاء الله تعالى استثناءهم من الموت بهذه النفخة، لأن الله تعالى يتولى قبض ارواحهم بدون وساطة نفخة

---

(١) ينظر الصحاح للجوهري ٣٢٢/١، دار الحضارة العربية – بيروت.

(٢) سنن الترمذي ٤٦/٤، الترغيب والترهيب للمنذري ٤/ ٣٨٠ .

(٣) ينظر: اصول الدين الإسلامي للبغدادي ص ٣٣٨، احياء علوم الدين للغزالي ٤/ ٥١٢ .

(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية لابن حنكبة ص ٢٧٥ .

الصور، وهؤلاء هم (جبريل، واسرافيل، وملك الموت، وقيل: حملة العرش)[1] وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[2].

ثانياً: النفخة الثانية: وهي نفخة البعث الى الحياة بعد الموت، يأمر الله تعالى اسرافيل، فتعود الحياة على أثرها الى الأموات، وهذا هو يوم البعث، وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، ليتم العرض والحساب[3].

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[4]. أي: نفخ في الصور نفخة البعث وهي النفخة الآخرة ليوم الوعيد، وسمي بذلك لما فيه من وعيد بالعذاب للكفار، وخصص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعاً لتهويله[5].

وبالمعنى نفسه أخبر سبحانه ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[6].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[7] أي صيحة البعث–وهي الصيحة الثانية يوم الخروج من القبور[8].

---

(١) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣١٣، روح للنعاني للالوسي ١٧٩/٢٦.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨ .

(٣) ينظر فتح الباري شرح البخاري لابن حجر ١١/ ٣١٠ – ٣١١ .

(٤) سورة ق الآية ٢٠ .

(٥) ينظر تفسير فتح القدير للشوكني ٥/ ٧٦ .

(٦) سورة الزمر الآية ٦٨ .

(٧) سورة ق الآية ٤٢ .

(٨) ينظر التفسير الكبير للرازي ٢٨/ ١٨٩ .

أما كيفية النفخ في الصور، فذه من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولو نكلف بمعرفتها، ولا معرفة حقيقتها، وما علينا من باب العقيدة إلا الايمان والتسليم بما تضمنته النصوص الصحيحة دون أن نزيد عليها من تصوراتنا شيئاً.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من الدراسة والبحث بتوفيق الله وعونه، توصلت من خلال تلك الدراسة الى النتائج الآتية:

١. تبين أن سورة ق مكية ما عدا آية واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[1].

٢. عالجت السورة أصول العقيدة الإسلامية – لكن المحور الاساسي الذي تدور حوله هو موضوع اليوم الآخر، وهو الموضوع ليس مقتصراً على هذه السورة، بل حفل القرآن الكريم بذكره في كل موقع ونبه اليه في اكثر من مناسبه .

٣. إن الايمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الانسان وسلوكه، وذلك أن الايمان به وبما فيه من ثواب وحساب، أشد الأثر في توجيه الانسان وانضباطه والتزامه بالاعمال الصالحة .

٤. إن وجود اليوم الآخر كان من وما يزال يثير استغراب الكافرين وتعجبهم لما يرونه ببصيرتهم القاصرة، مما لا حجة لهم فيه، وقد رد الله تعالى عليهم وعالج تلك الشبهات بدلائل وآيات بينات .

٥. ثبت بالأدلة الشرعية أن العبد المؤمن يكرم عند النزع في سكرات الموت بتثبيت الله تعالى له، وتخفيف ألم النزع، بخلاف الكافر الذي يواجه شدة وآلاما وهذا كل قبل خروج الروح.

---

(١) سورة ق الآية ٣٨ .

٦. تبين أن النار واسعة، مترامية الاطراف، وأن الجنة واسعة ايضاً فيها من كل النعيم وفوق ذلك وعدهم الله بالمزيد وهو لذة النظر الى وجهه الكريم من غير إحاطة أو تكييف .

ختاماً فهذا جهد المقل وحسبي أني اجتهدت، أسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين، أنه سميع مجيب

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ) – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– المكتبة العصرية– بيروت سنة ١٩٨٨ .

٢. إحياء علوم الدين – للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)– عالم الكتب – دمشق.

٣. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم – للعلامة ابي السعود محمد بن العمادي ت (٩٨٢هـ) – دار الفكر – بيروت .

٤. اسباب النزول – لابي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (٤٦٨ هـ)، دار الفكر –بيروت

٥. اصول الدين الإسلامي – لابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت (٤٢٩ هـ) – مطبعة الدولة – استانبول – ط١ – ١٩٢٨ م.

٦. أنوار التنزيل واسرار التأويل – لناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي ت (٧٩١هـ) – مطبعة دار الجيل –بيروت .

٧. البحر المحيط – لمحمد بن يوسف بن حيان – ت (٧٥٤هـ) – دار الفكر – بيروت – ط٢ – سنة ١٩٧٨ .

٨. البرهان غل علوم القرآن – للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت (٧٩٤هـ) خرج أحاديثه – مصطفى عبد القادر عطا – دار الفكر– بيروت ٢٠٠١ م .

٩. تفسير القرآن العظيم – للإمام عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير ت (٧٦٤ هـ) – مطبعة دار الخير – بيروت – ط١ – سنة ١٩٩١ م .

١٠. التفسير الكبير واسمه (مفاتيح الغيب) للإما فخر الدين محمد الرازي ت (٦٠٦هـ) – دار الفكر العلمية – طهران – ط٢ .

١١. جامع البيان عن تأويل أي القرآن – للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري – ت (٣١٠ هـ)– دار المعرفة – بيروت – ط٢ – سنة ١٩٧٢ .

١٢. جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي – الجامع لأبي عيسى بن سورة الترمذي ت (٢٦٧ هـ) والشرح لابي العلي المباركفوري – دار الكتاب العربي – بيروت .

١٣. جامع الاصول من حديث الرسول ﷺ – عبد الرحمن بن علي المعروف بأبن الديبع الشيباني – مطبعة مصطفى البابي.

١٤. الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت (٦٧١هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٨ .

١٥. حاشية الطحاوي على تفسير الجلالين للعلامة أحمد بن محمد الصاوي ت (١٢٤١هـ) – دار الجيل – بيروت، الطبعة الاخيرة .

١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم المثاني – للإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي ت (١٢٧٠هـ) – مطبعة دار إحياء التراث العربي.

١٧. السراج المنير– للامام شمس الدين محمود الشربيني الخطيب ت (٩٧٧ هـ)– الطبعة الخيرية – القاهرة .

١٨. شرح العقيدة الطحاوية – المسماة بـ (بيان السنة والجماعة) – للامام أحمد بن محمد بن سلامة – الطبعة الحنفية ت (٣٢١هـ) – مراجعة مجموعة من العلماء – المكتب الإسلامية – بيروت ١٣٩١ هـ .

١٩. شرح العقائد النسفية – سَعد الدين التفتازاني – مطبعةمحمد علي صبيح ط٢– سنة ١٩٣٩ م .

٢٠. شرح العقيدة الواسطية – للشيخ احمد بن تيمية، بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين– دار ابن الهيثم – القاهرة– ط١ – ٢٠٠٢ م .

٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – للامام اسماعيل بن حماد الجوهري ت (٣٩٣هـ)– تقديم الشيخ: عبد الله العلايلي – دار الحضارة العربية – بيروت– ط١.

٢٢. صحيح البخاري– للاما أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ)، عالم الكتب – بيروت .

٢٣. صحيح البخاري بشرح فتح الباري – للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) – تحقيق عبد العزيز بن باز– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٩ م.

٢٤. صحيح مسلم بشرح النووي – للإمام محي الدين أبي زكريا النووي ت (٦٧٦ هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط٢ – سنة ١٩٧٢ .

٢٥. العقيدة الإسلامية واسسها– عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني – دار القلم – دمشق ط٥– سنة ١٩٨٨ .

٢٦. فتح البيان في مقاصد القرآن – لمحمد صديق خان – دار إحياء التراث – بيروت .

٢٧. فتح القدير – الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير – لمحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠هـ) – دار احياء التراث العربي – بيروت .

٢٨. الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل – للامام جار الله محمود الزمخشري ت (٥٢٨هـ)– المكتبة التجارية – مصر – ط١ .

٢٩. المستدرك على الصحيحن – للامام ابي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم،المسند – للامام أحمد بن حنبل– دار صادر– بيروت .

٣٠. مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي – طبعة المكتب الإسلامية – دمشق –ط١ – ١٩٦١ .

٣١. مناهل العرفان في علوم القرآن– للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاوي – دار الحديث– القاهرة – سنة الطبع ٢٠٠١ .

٣٢. المواقف للأبجي بشرح السيد الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة – مصر.